المحاضرة الأولى: المدخل المعرفي:لعلم الاقتصاد

إن فهم طبيعة علم ما وكيفية استخدامه وتوظيفه في عملية تفسير الظواهر والقضايا التي يدرسها، يدفعنا إلى بحث وتحديد خصائصه وأبعاده وموضوعاته الأساسية، وانطلاقا من هذه الحقيقة سنحاول من خلال هذا الفصل التعرض إلى مفهوم علم الإقتصاد وخصائصه وأدواته وعلاقته مع العلوم الأخرى، إضافة إلى تحليل الموضوع الأساسي الذي تتمحور حوله كل قضايا هذا العلم والمتمثل في المشكلة الإقتصادية بمختلف عناصرها وأبعادها، وبهذا يمكننا فهم طريقة دراسته وتفسيره للظواهر والعلاقات الإقتصادية المختلفة.

أولا: مفهوم علم الاقتصاد

1- تعريف علم الاقتصاد تعددت واختلفت التعريفات التي وُضعت لمفهوم علم الاقتصاد، وذلك بناءً على تنوع التوجهات العلمية والانتماءات الإيديولوجية والمذهبية للمفكرين الاقتصاديين الذين تعرضوا له. كما أن هذه التعريفات تأثرت باختلاف الأنظمة الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية، فضلاً عن السمات والتطورات الثقافية والعلمية والتكنولوجية التي سادت في كل مرحلة تاريخية. وبالتالي، فإن من يتتبع تطور مفهوم علم الاقتصاد يواجه تحديًا حقيقيًا بسبب هذا التنوع الكبير والثراء المدهش في تعريفاته. وقد اختلفت تفسيرات هذا العلم وماهيته اختلافات جذرية من مرحلة إلى أخرى ومن مدرسة فكرية إلى أخرى. ومع ذلك، يتفق الجميع على أنه العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر الاقتصادية. من خلال هذا العنصر، سنستعرض أبرز التعريفات ونبين كيف كانت الاختلافات في تعريف علم الاقتصاد تتفاوت حسب المدارس الفكرية والإيديولوجية والمراحل الزمنية، مما يعكس تطور مفهوم هذا العلم من جهة، واتساع موضوعاته وتعدد مجالاته من جهة أخرى.

وإليك مجموعة من التعاريف:

- **حسب جون ستيوارت ميل** :يرى أن المشكلة تكمن في إنتاج وتوزيع الوسائل. ويقول إن علم الاقتصاد يهتم بالقوانين المتعلقة بإنتاج وتوزيع الوسائل المستخدمة في إشباع حاجات ورغبات الأفراد اللازمة لمعيشتهم. أي أنه يدرس القوانين التي تحكم عمل الإنسان في سبيل إنتاج الثروة، وكيفية توزيعها على مختلف استخداماتها المتنوعة.
- **روبن بومبار** :يقول إن علم الاقتصاد هو علم يدرس تسيير الموارد النادرة وأشكال تحويل هذه الموارد. وهو علم يبحث في السبل التي يتبعها الأفراد والمجتمعات لمواجهة احتياجاتهم المتعددة، والتي لا حصر لها، باستخدام وسائل محدودة.
- **ميلتون فريدمان** :عرف علم الاقتصاد على أنه العلم الذي يبحث في الطرق التي يمكن للمجتمع من خلالها حل مشكلاته الاقتصادية. وعليه، فإن جميع المسائل والقضايا الاقتصادية تُعتبر من صميم اهتمامات علم الاقتصاد، الذي يبحث في ماهية وأسباب المشكلة الاقتصادية على مختلف مستوياتها، وكيفية معالجتها.

- **بول ساموبلسون** :يهتم علم الاقتصاد بدراسة كيفية اختيار الأفراد والمجتمعات واستخدام الموارد في إنتاج مختلف البضائع عبر الزمن، ومن ثم توزيعها على الاستهلاك الحالي والمستقبلي وبين الأفراد والجماعات المختلفة في المجتمع. هذا التعريف يثير العديد من الإشكاليات المهمة التي يجب معالجتها، وتتمثل في:

- كيفية توفير واختيار الموارد الضرورية لعمليات الإنتاج.
- الطريقة المثلى المتبعة في استخدام تلك الموارد من أجل إنتاج وسائل تلبية الاحتياجات والرغبات.
- طريقة التوزيع الأمثل للموارد على مختلف الاستخدامات الحالية والمستقبلية، أي أنه يبحث في كيفية توزيع الموارد بين الفترات الزمنية.
- التوزيع العادل للثروة بين الأفراد والجماعات المختلفة.

2- **الاقتصاد كعلم:**

حتى يمكننا القول عن أي مجال معرفي، مهما كان، إنه علم، يجب أن تتوفر فيه مجموعة من الخصائص والشروط التي تميزه عن باقي مجالات المعرفة الإنسانية. ومن بين هذه الشروط والخصائص ما يلي:

- أن تكون له قواعد ونظريات عامة وثابتة وقابلة للتطبيق.
- أن يكون له موضوع خاص به.
- أن يستخدم أحد طرق البحث العلمي.
- أن يستعمل بعضًا من العلوم الأخرى وتستعمله تلك العلوم.

تختلف الدراسات في مجال الاقتصاد من حيث تركيزها على دراسة السلوك الاقتصادي للإنسان، سواء كان فردًا أو جماعة أو مجتمعًا. كما تعتمد هذه الدراسات على المنهج العلمي في تحليل الظواهر الاقتصادية. بالإضافة إلى ذلك، تستفيد هذه الدراسات من مفاهيم ومناهج العلوم الأخرى مثل الرياضيات، علم النفس، علم الاجتماع، والإحصاء. في هذا الفصل، سنعمل على استعراض هذه النقاط بهدف توضيح خصائص وأبعاد علم الاقتصاد.

أولا: موضوع علم الإقتصاد

يهتم علم الاقتصاد بدراسة السلوك الاقتصادي للأفراد والمجتمعات والمؤسسات، أي دراسة سلوك الإنسان في سعيه لتلبية حاجاته ورغباته باستخدام الموارد المحدودة والنادرة التي تتطلب تدبيرًا وجهدًا لتوفيرها واستغلالها في تلبية هذه الحاجات. ولتحقيق ذلك، يضطر الإنسان إلى ممارسة مجموعة من الأنشطة مثل الإنتاج والاستهلاك والتبادل والادخار والتوزيع.

يركز علم الاقتصاد على دراسة المشكلات التي يواجهها الإنسان أثناء سعيه لتلبية حاجاته ورغباته المتعددة انطلاقًا من الموارد المحدودة، وما ينجم عن ذلك من ظواهر وعلاقات اقتصادية. ويمكن تلخيص هذه الظواهر في الجوانب التالية:

- **البحث في نوع وطبيعة السلع والخدمات التي يجب إنتاجها** :حيث يعنى علم الاقتصاد بتحديد نوع السلع والخدمات التي تساهم في تلبية حاجات الأفراد والمجتمع، بناءً على فكرة تخصيص الموارد وتحقيق أقصى درجة من الإشباع الممكن. وهذا يعد من صلب اهتمامات علماء الاقتصاد ومن أهم الإشكاليات التي يعالجها. تأثرت الإشكاليات الاقتصادية باختلافات كبيرة، خاصة بين أنصار الرأسمالية والاشتراكية، حيث يحدد كل منهم الطريقة المثلى لمعالجة هذه الإشكالية من وجهة نظره الخاصة.
- **طريقة وكيفية إنتاج السلع والخدمات** :تُعتبر طريقة الإنتاج من القضايا الأساسية في علم الاقتصاد، الذي يدرس من خلالها نوعية وكمية الموارد التي يجب استخدامها وكيفية معالجتها للحصول على أفضل المخرجات الممكنة.
- **كيفية توزيع الإنتاج على الأفراد** :تعتبر هذه القضية من المسائل الهامة في علم الاقتصاد، حيث ترتبط بقضية العدالة في توزيع الدخل والتنمية، سواء على مستوى المناطق أو القطاعات أو الأفراد في المجتمع. وعلى هذا الأساس، كانت هذه المسألة محور اهتمام المفكرين الاقتصاديين وأثارت العديد من الخلافات بينهم.
- **توزيع وتخصيص الموارد لتلبية الحاجات والرغبات** :تعد هذه القضية أيضًا من اهتمامات علم الاقتصاد، حيث يبحث من خلالها في معايير التوزيع الأمثل للموارد بما يحقق أكبر قدر من الإشباع مع الحفاظ على استدامة الموارد.
- **التوزيع بين الحاجات والرغبات الضرورية وغير الضرورية** :تطرح مسألة التوزيع في الاقتصاد تحديات تتعلق بتوزيع الموارد بين الحاجات والرغبات الضرورية وغير الضرورية، وكذلك بين القطاعات المختلفة، وبين الأجيال الحالية والمستقبلية.
- **الكفاءة في استخدام الموارد** :يهتم علم الاقتصاد بدراسة كفاءة استخدام الموارد، والتي تمكّن الإنسان من تحقيق الاستخدام الأمثل للموارد الاقتصادية. ويشمل ذلك البحث عن الطرق الصحيحة لاستغلال الموارد المختلفة بما يضمن تحقيق أفضل المخرجات.
- **طرق تنمية وتطوير القدرات الإنتاجية للمجتمع والمؤسسات** :يركز علم الاقتصاد، بجميع فروعه، على مسألة تنمية وتوسيع القدرة الإنتاجية للمجتمع، سواء من خلال بناء وحدات إنتاجية جديدة عبر الاستثمارات، أو من خلال توظيف التقنيات الحديثة في عمليات الإنتاج (التطور التكنولوجي)، أو من خلال تنمية قدرات ومهارات الأفراد.

قراءات:

- عبد الرحمن يسري .مبادئ الاقتصاد: الاقتصاد الجزئي والكلي .القاهرة: دار النهضة العربية، 2019.
- محمد دويدار .مبادئ الاقتصاد السياسي .القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2017.

- محمد الحواصلي .الاقتصاد: المبادئ والأساسيات .عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2015.
- نجيب إسكندر .مبادئ الاقتصاد .بيروت: دار الجيل، 2006.